هاء الكناية والدرس الصوتي المطبق في القرآن الكريم

للدكتور التهامي الراجي

1 ـــ التعريف بهاء الكناية

هاء الكناية في اصطلاح القراء والنحاة والمهتمين بتجويد القراءة هي الهاء الزائدة الدالة على الواحد المذكر.

لا بد من التنصيص، هنا على أنها زائدة حتى لا تلتبس مع الهاء الأصلية التي تصادف لام الكلمة مثل « يأبَهُ »(1) و « يأمَهُ »(2) و « نأنِهُ »(3) و « يدَهْدِهُ »(4) و « نفقه »(5) و « ينته »(6).

كما أنه لا بد أن تكون دالة على الواحد المذكر كي لا يدخل تحتها الهاء في نحو « عليها » و « عليهم » و « عليهن ».

رغم أن جميع هذه الهاءات هي كلها هاءات ضمير، فإنها لا تسمى هاءات كناية في اصطلاحنا .

تتصل هاء الكناية بالفعل نحو « يؤَدِّهِ » وبالاسم نحو « أهله » وبالحرف : نحو « عليه ».

2 ـــ أشكال هاء الكناية.

بما أن هاء الكناية في اللغة العربية، هي إما بعد متحرك أو ساكن أو هي قبل متحرك أو قبل ساكن فإن لنا ، والحالة هذه ، إن أشرنا الى هاء الكناية بـ (ه) وإلى الحرف المتحرك بـ (م) وإلى الحرف الساكن بـ (س) أربعة أشكال يمكن تلخيصها كما يلي :

ا ـــ م	ه	س
ب ـــ س	ه	س
ج ـــ م	ه	م
د ـــ س	ه	م

3 ــ صور هاء الكناية.

بما أن هاء الكناية تأتي في اللغة العربية إما مضمومة أو مكسورة فإن لنا، والحالة هذه :

4 × 2 = 8 صور هي :

I ــ م	هُ	س
II ــ س	هُ	س
III ــ م	هُ	م
IV ــ س	هُ	م
V ــ م	هِ	س
VI ــ س	هِ	س
VII ــ م	هِ	م
VIII ــ س	هِ	م

4 ــ قراءتها .

سنلخص الكلام هنا عن قراءتها، مقدمين ضوابط للتمييز بين أصنافها. على أنّنا سنفصل الأمر كله في فقرات مناسبة من هذا البحث.

تأتي هاء الكناية، من حيث النطق بها، على اربعة أصناف.

1 ــ موصولة بمَدٍّ.
2 ــ موصولة بغير مَدٍّ.
3 ــ غير موصولة.
4 ــ ساكنة.

1.4 ــ الموصولة بمَدٍّ.

هي التي تسمى عندنا أيضا مشبعة وتكون قبل همزة قطع. فإن كانت موصولة بضم كتبناها هكذا (ه وْ)، وهو الرسم القرآني المتبع عندنا في المصاحف المكتوبة على طريق الأزرق [5] برواية ورش [6] عن نافع [7]. وإن كانت موصولة بكسر كتبناها على هذا الشكل (ه ىْ).

ومعلوم أن أصل حركة هاء الكناية الضّم، لكن لما كانت هذه الهاء اسما على

حرف واحد، وهذا الحرف هو حرف خفي ضعيف، قَوَّوْه بزيادة « واو ». لذا نراهم يقولون في بعض الأحيان « بِهُو » و « عَلَيْهُو ». فأما من وصل الهاء بالياء في هذا النوع فالياء بدل من الواو، لأن الواو الساكنة لا تكون قبلها كسرة الْبَتَّة (8).

2.4 ــ موصولة بغير مد

تكون هذه عادة بين متحركين لا يكون المتحرك الثاني همزة قطع. تكتب هذه الهاء في مصاحفنا إن كانت موصولة بضم هكذا (ه و) وتكتب على هذا الشكل (ه) إن كانت موصولة بكسر.

3.4 ــ غير موصولة.

أي أنها تقرأ بمقدار حركة، ضمة كانت أو كسرة، نسمي هذا قصرا أو اختلاسا، وعادة ما تكون هذه :

ا ــ إما قبل ساكن مثل : «لَهُ الْمُلْكُ» (9)، «لأهلِهِ امْكُثُوا»(10). وهذه لا يصلها أحد.

من المفيد أن ننص هنا، وإن كان هذا الشيء الذي ننص عليه لا يدخل في ميدان اهتمامنا الآن، أن صلة هاء الكناية تُحْذف في هذه الحالة أي في حالة ورودها قبل ساكن، حسب ما بيناه، كما تحذف في ضمير الغائب المؤنث المجمع على صلته إذا كان قبل ساكن نحو : «مِنْ تَحْتِهَا الأنْهارُ» (11)، «فأجاءَها المخاض» (12).

ب ــ وإما بعد ساكن، مثل : «وادْعوهُ مُخْلِصين» (13) «عَلَيْهِ دَليلا» (14)، وهذه لا يصلها إلا ابن كثير . شاركه في القراءة بالصلة حَفْص في قوله تعالى : «فيه مهاناً» (15). كما شاركه في القراءة بالصلة أيضا هشام في قوله تعالى : «أرْجِئهُ » (16) في المَوْضِعَيْن.

4.4 ــ ساكنة.

بمعنى أن حركة هاء الكناية، سواء كانت ضمة أو كسرة تُحَوَّل إلى سكون. لم ترد هذه إلا في ألفاظٍ معدودة في القرآن الكريم سنتعرض لها جميعها ونفصل فيها إن شاء الله.

5 ــ حالات الشكل «ا»

1.5 ــ استمرار الشكل «ا»

يوجد في الشكل «ا» الذي أعطانا الصورتين ا و ٧ متغيران هما (م) الذي يمكن

أن يكون على ثلاث حالات ، حالة الضم أو الفتح أو الكسر و (ه) التي يمكن أن تكون مضمومة أو مكسورة مما يعطينا نظريا :

2 × 3 = 6 حالات ، هي :

1 —	مُ	دُ	س	
2 —	مَ	هُ	س	بالنسبة للصورة ا
3 —	م	هُ	س	
4 —	م	هِ	س	بالنسبة للصورة ٧
5 —	مَ	هِ	س	
6 —	مِ	هِ	س	

2.5 ــ تفصيل حالات الشكل «ا»

بما أن هاء الكناية لا تأتي مضمومة بعد كسر [17] أو بعد ياء ساكنة [18] إلا نادرا جدا، ولا تأتي مكسورة إلا بعد كسر، فإن الحالات 3 و 4 و 5 غير واردة في القرآن الكريم. سيبقى إذن ثلاث حالات هي :

1 —	مُ	هُ	س	بالنسبة للصورة ا
2 —	مَ	هُ	س	
6 —	مِ	هِ	س	بالنسبة للصورة ٧

هذه الحالات الثلاث موجودة كلها في القرآن الكريم ومقروء بها من طرف الجمهور. سأعمل في بحث لاحق إن شاء الله على ذكر جميعها، مرتبة ألفاظها الواردة فيها هاء الكناية ترتيبا ألفبائيا. أما اليوم فأكتفي بإعطاء مثال أو مثالين عن كل حالة.

مثال الحالة الأولى نجده في قوله تعالى : «وَقَوْلُهُ الْحَقُّ وله الملك يوم ينفخ في الصور»[19].

مثال الحالة الثانية من الصورة ا نجده في قوله : «فأما الذين ءامنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ...» [20] وفي قوله : «وإذا قيل له اتَّق الله أخذته العِزَّةُ بالإثْمِ ...» [21] وأما مثال الحالة السادسة من الصورة ٧ فنجده في قوله تعالى : «قال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي ءاتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون[22].

هذه الهاء لا يصلها أحد ، كلهم يقرأونها بالقصر .

6 ــ معطيات الشكل «ب»

1.6 ــ استثمار الشكل «ب»

لا نجد في هذا الشكل إلا متغيرا واحدا هو (ه) لكنه يرد على وجهين (هُ) و (هِ) الأمر الذي يعطينا :

1 × 2 = حالتين هما .

7 ــ س هُ س بالنسبة للصورة II

8 ــ س هِ س بالنسبة للصورة VI

2. 6 ــ تفصيل حالتي الشكل «ب»

نجد مثالا عن الحالة السابعة في آخر الآية التي اعطيناها أعلاه شاهدا على الحالة الثانية من الصورة 1 وهي : «واذا قيل لهُ اتق الله أخذتْهُ العزة بالاثم فحسبهُ وجهنم ولبيس المهاد»[23]. كما نجده في قوله تعالى : «فانفجرت منهُ اثنتا عشْرة عينا»[24] ونجده في قوله تعالى : «وإن من الحجارة لما يتفجر منهُ الأنهار...»[25].

أما مثال الحالة الثامنة من الصورة VI فنجده في قول عز من قائل : «إن الذين يُبايعونك إنما يبايعون الله يَدُ الله فوق أيديهم فَمَنْ نَكَثَ فإنما يَنْكُثُ على نفسهِ ومن أوفى بما عاهد عليه الله فَسَنُوتيه أَجْراً عظيما [26].

سبق أن قلت أعلاه إن عاصِماً يقرأ : «عَلَيْهِ اللَّهَ» مضمومة الضمير[27]، أي أنه يقرأها وكأنها الحالة السابعة من الصورة II، قرأها هكذا مضمومة على الأصل وبصلة الهاء بالواو، ثم حذف الواو لسكونها وسكون اللام بعدها، فبقيت الضمة.

جميع العرب ينطقون بها غير موصولة والقراء دون استثناء يقرأونها بالقصر.

7 ــ معطيات الشكل «ج»

1.7 ــ استثمار الشكل «ج»

يحتوي هذا الشكل على ثلاثة متغيِّرات.

الأول : (م)، الحرف المتحرك القبلي والذي يمكن أن يكون على ثلاثة أوجه ضم وفتح وكسر وهو ما يكوِّن الصورة III.

الثاني : (م)، الحرف المتحرك البعدي الذي يمكن أن ياتي هو أيضا.
الثالث : (ه) هاء الكناية التي يمكن أن تكون على وجهين ضم وكسر. وهكذا سيكون عندنا نظريا.

$$18 = 2 \times (3 \times 3)$$ حالة

تقرأ هذه الهاء ، لأنها توجد بين متحركين موصولة عند الجميع .

نقول عن هذه الهاء إنها موصولة إن لم تكن قبل الهمزة ، فإن كانت الهمزة بعدها قلنا عنها إنها موصولة بمد أو أنها مشبعة . حالات هذا الشكل هي :

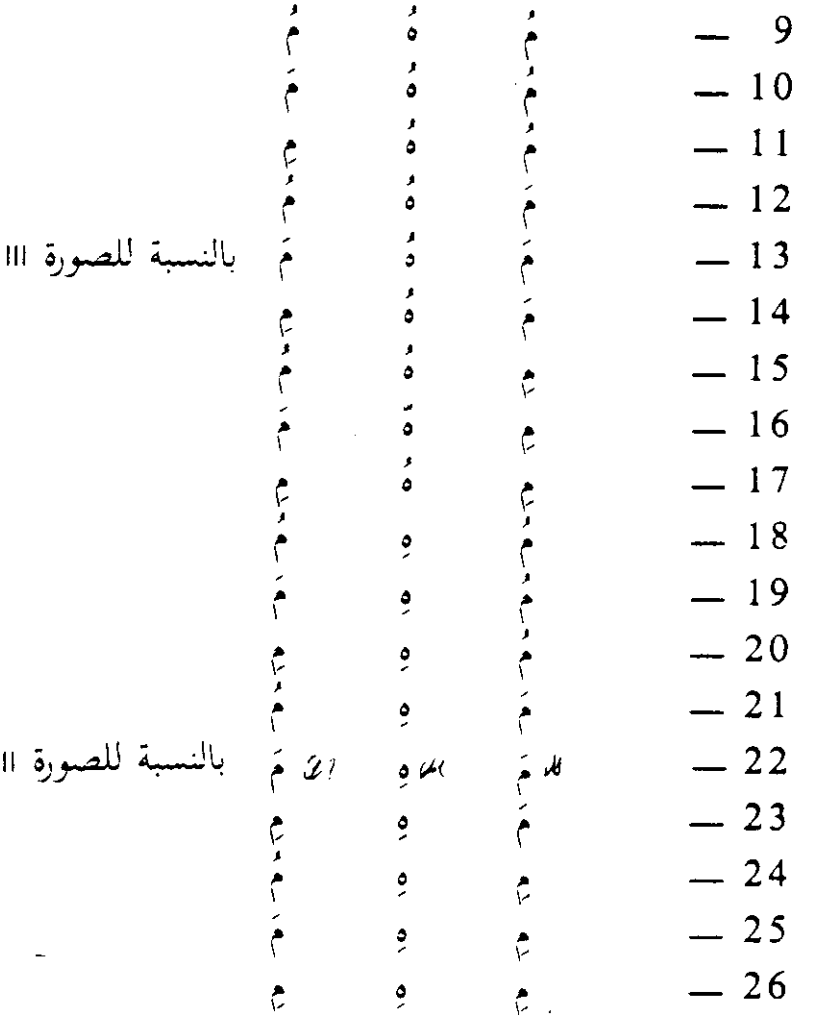

2.7 ــ تفصيل حالات الشكل «ج»

بما أن هاء الكناية لا تكون مضمومة بعد كسر ولا مكسورة بعد ضم أو فتح فإن الحالات : 15 ، 16 ، 17 ، 18 ، 19 ، 20 ، 21 ، 22 ، 23 ، غير واردة في القرآن الكريم، بمعنى أن نصف حالات الشكل «ج» لا توجد فيه.

نجد المثال عن الحالة التاسعة في قوله تعالى : «النبيءُ أَوْلى بالمومنين من أنفسهم وأَزْواجُهُ أُمَّهاتُهُمْ»(28).

ونجد المثال عن الحالة العاشرة في قوله عز وجل : «ثمّ تولَّيْتُمْ مِنْ بعد ذلك فلوْلا فضل الله عليكم ورَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ من الخاسرين» (29).

ونجد المثال عن الحالة الحادية عشرة في قوله تعالى : «واسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ في الارضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وظنوا أنهم إلَيْنَا لا يرجعون» (30).

أما المثال القرآني عن الحالة الثانية عشرة فنجده في قوله : «فَتَلَقَّى آدمُ من رَبِّه كَلِمات فتاب عليهِ إنّه هُو التّواب الرحيم»(31).

ومثال الحالة الثالثة عشرة نستخرجه من قوله تعالى : «أَلَمْ تَرَ إلى ربك كَيْفَ مدَّ الظِّلَّ ولَوْ شاء لَجَعَلَهُ ساكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عليْهِ دليلا» (32)، ونعثر في قوله تعالى : «ولَمْ تكُنْ لَهُ فِئَةٌ ينْصُرونَهُ مِن دونِ اللَّهِ ومَا كان مُنْتَصِراً» (33)، على مثال الحالة الرابعة عشرة.

أما الحالات التسع الموالية فقد قلنا سابقا إنها غير واردة في القرآن الكريم.

أما مثال الحالة 24 فنجده في قوله تعالى : «الذين ءاتَيْناهُمُ الكِتابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُومِنون»(34).

ويمكن أن نعطي شاهدا على الحالة 25 قوله تعالى : «اللهُ نُورُ السَّمَاوات والارض مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فيها مصباح ...» (35).

ونعطي مثالاً لِلحالة 26، وهي الحالة الأخيرَة مِن الشكل «ج» الآية : «اذهب بكِتابي هذا فألقِهْ إليهم (36) ثم تولَّ عنهم ...» (37) والاية : «وماهُمْ بِضارِّين بِهِ مِن أحد إلا بإذنِ الله»(38).

8 ـــ معطيات الشكل «د»

1.8 ـــ استثمار الشكل «د»

يحتوي هذا الشكل على متغيرين اثنين كالشكل «ا» لا يختلف هذا عن ذاك إلا بمكان المتغير. فعوض أن يكون المتحرك (م) وهو المتغير الثاني قبل السكون كما كان في الشكل «ا» اصبح في هذا بعد السكون. وبما أن المتغير الأول وهو (ه) يتخذ شكلين ضمّا وجرّا، وأن المتغير الثاني، وهو (م) : الحرف المتحرك بعد الهاء، يأخذ ثلاثة أشكال

متباينة، ضمّا ونصباً وجرّاً فسيكون عدد الحالات كما يلي :
2 × 3 = 6 حالات هي كما يلي :

— 27	س	هُ	مُ	
— 28	س	هُ	مَ	بالنسبة للصورة IV
— 29	س	هُ	مِ	
— 30	س	هِ	مُ	
— 31	س	هِ	مَ	بالنسبة للصورة VIII
— 32	س	هِ	مِ	

2.8 ــ تفصيل حالات الشكل «د»

نجد أمثلة عن الحالة 27 في قوله تعالى : «قُلْ أمَرَ ربِّي بالقِسْطِ وأقيموا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كل مسجد وادعوهُ مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون فريقا هَدىٰ وفريقا حق عليهم الضّلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياءَ من دون الله ويحسبون أنهم مُهتدون» (39). وفي قوله عز وجل : «هو الحيُّ لا اله إلا هُو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين» (40). وفي قوله تعالى : «أم يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين» (41).

كما يمكن أن نعطي مثالا للحالة 28 الآية الكريمة : «ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُون» (42) أو الآية : «...فَلْيَصُمْهُ ومن كان مريضا أو على سفر فعِدّةٌ من أيامٍ أخرَ» (43) أو قوله : «ولن يَتَمَنَّوْهُ أبداً بما قدَّمت أيديهم ...» (44).

ونعطي للحالة 29 المثال الآتي : «وآتينا عيسى ابن مريم البيِّنات وأيَّدْناهُ بِروح القُدُس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم» (45).

ونجد مثال الحالة 30 في قوله عز وجل : «وَوَصَّيْنا الانسان بوالديه حُسْناً وإن جاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بي مَا ليس به علم فلا تطعهما إلي مرجعكم فأنبِّئُكُم بما كنتم تعملون» (46).

وللحالة 31 نعطي مثالا قوله تعالى : «ثم جعلنا الشمس عليه دَليلا» (47) .

ونجد مثالا للحالة الأخيرة 32 في قوله تعالى : «ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم إذ يُلقُون أقلاَمَهُمْ، أيُّهُمْ يَكْفُلُ مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون» (48).

لا يصل هذه الهاء أحد إلا ابن كثير المكي الذي وافقه في هذه الصلة، حَفْص في قوله تعالى : (49) «يضاعَفْ لَهُ العذاب يوم القيامة ويخلُدْ فيه مُهانا» (50).

حُجَّةُ من لم يصل أنهم كرهوا أن يجمعوا بين حرفين ساكنين ليس بينهما حاجز إلا الهاء وهي حرف خفي فأسقطوه وأبقوا الهاء على حركتها.

أما حجة ابن كثير المكي وحفص(51)، راوي عاصم الكوفي (52) فهي أن الهاء حرف خفي فقوياه بحركته وحرف من نفس الحركة.

كما شارك هشام (53) ابن كثير في صلة هاء الكناية رغم الساكن الذي قبله في قوله «أرْجِئه» (54).

يمكن جمع المعطيات المتعلقة بهاء الكناية أشكالها، صورها، حالاتها والمستعمل منها في القرآن الكريم وغير المستعمل في الجدول الآتي :

أشكالها	صورها	قراءاتها	حالاتها	الواردة منها في القرآن الكريم
ا.ه ه س	م هُ س (من ا)	لا يصلها أحد	6 حالات بالنسبة لـ«ا»	لا يوجد في القرآن الكريم إلا ثلاثة
	س هُ س(من ب)	لا يصلها أحد		
ب.س ه س	م هُ م (من ج)	توصل عند الجميع	اثنتان بالنسبة لـ«ب»	توجدان معا في القرآن الكريم
	س هُ م (من د)	يصلها ابن كثير يشاركه هشام في واحدة		
ج.م ه م	م ه س (من ا)	لا يصلها أحد	18 حالة بالنسبة لـ «ج»	الموجودة منها 9 فقط
	س هِ س(من ب)	لا يصلها أحد		
د.س ه م	م هِ م(من ج)	توصل عند الجميع	6 حالات بالنسبة لـ«د»	مستعملة كلها في القرآن الكريم
	س هِ م(من د)	يصلها ابن كثير ويشاركه حفص في واحدة		

9 ـــ هاء الكناية الخارجة من حيث صورتها السمعية عن هذه الضوابط

الالفاظ التي خرجت فيها هاء الكناية ـــ شكلا ـــ عن هذه الضوابط عشرة ، هي كما يلي :

1.9 ـــ يُؤَدِّهِ :

المذكورة مرتين في آل عمران في الآية الكريمة : «ومن أهل الكتاب مَن إن تامَنْهُ بقنطار يُؤَدِّهِۦٓإليك ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤدِّهِۦإليك إلّا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الامِّيِّين سبيل ويقولون على الله الكَذب وهم يعلمون» (55).

2.9 ـــ نُؤْتِهِ :

وردت هذه اللفظة في القرءان الكريم ثلاث مرات :

ا ـــ مرتين في آل عمران . قال تعالى : «وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مُؤَجَّلا ومن يرد ثواب الدنيا نُؤْتِهِۦ منها ومن يرد ثواب الاخرة نُؤْتِهِۦ منها وسنجزي الشاكرين»(56).

ب ـــ ومرة واحدة في الشورى في قوله تعالى : «من كان يريد حرث الآخرة نَزِدْ له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نُؤْتِهِۦ منها وما له في الآخرة من نصيب» (57).

3.9 ـــ فألقه:

توجد هذه اللفظة في قوله تعالى : «اذهب بكتابي هذا فَأَلْقِهِۦٓ إليهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عنهم فانظر ماذا يرجعون»(58).

لقد خرجت هذه الالفاظ عن ضابطها، على الاقل عند بعض القراء، هذا البعض هم حمزة وأبو عمرو وشعبة الذين يقرأونها ساكنة الهاء. أما ضابطها الذي كان من المفروض أن تكون فيه عند الجميع فهو : الحالة 26 من الصورة VII في الشكل «ج» خرجت عن ضابطها الأصلي لتؤسس ضابطا ثانويا يصاغ كما يلي :

33 ـــ مِ هْ مِ

وهناك قراءة ثانية لهذه اللفظة، وهي قراءة القصر يقرأ بها قالون قولا واحدا وهشام بخلاف عنه، أي أنه يقرأ بالقصر كقالون ويقرأها بالاشباع كالقراء الباقين المذكورين أسفله. يحول هذان القارئان هذه اللفظة إلى ما تحت الضابط، وهو

34 — مِ ـهِ مِ

أمَّا الباقون فَيَقْرَأُونها على ضابطها الأصلي، أي موصولة لأنها واقِعة بين متحرِّكيْن وبِمَدّ لِأَنَّ بَعدها همزَة قَطْع.

9. 4 — يَأْتِهِ :

آلواردة في قَوْلِهِ تعالى : «ومَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ العُلَى».(59)

يَقْرَأُ آلإِمَامُ آلسُّوسِي هَذِهِ آللفظَةُ بِإِسْكانِ هاء كناية. بهذا يُخْرِجُهَا عَنْ ضَابِطِهَا آلأَصْلِي آلَّذِي هُوَ آلْحَالَةُ 24 مِن آلصُّورَةِ VII في الشَّكْلِ«د» لِيُدْخِلَهَا ضَابِطاً ثَانَوِيًّا يُمْكِنُ صِيَاغَتُهُ كَمَا يَأْتِي :

35 — مِ هْ مُ

وَيَقْرَأُوهَا قالون وَحْدَهُ بِوَجْهَيْنِ : بالاخْتِلَاسِ (60) وبالاشْبَاعِ فَعِنْدَمَا يَقْرَأُهَا هُوَ وَهِشَام بالاخْتِلَاسِ يُخْرِجَانِهَا مِنْ ضَابِطِهَا إِلَى مَا تَحْتَ آلضَّابِطِ آلَذِي يُمْكِنُ صِيَاغَتُه كَمَا يَلِي :

36 — مِ ـهِ مُ

وَأَمَّا آلبَاقُونَ فَيَقْرَأُونَهَا عَلَى أَصْلِهَا

9.5.6 — نُوَلِّهِۦ وَنُصْلِهِۦ :

الواردتان في قوله تعالى : «ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدي ويتبع غير سبيل المؤمنين نُوَلِّهِ ما تولَّى ونُصْلِهِ جهنم وساءت مصيرا» (61).

9.7 — يَتَّقِهِ :

الموجودة في قوله تعالى : «ومن يُطِعِ الله ورسوله ويخش الله ويتقِهِۦ فأولئك هم الفائزون» (62).

لهذه الالفاظ الثلاثة ثلاث قراءات.

السكون : ويقرأ به أبو عمرو وحمزة وشعبة، تخرج هذه القراءة هذه الالفاظ عن ضابطها الاصلي الذي هو الحالة 26 من الصورة VII في الشكل «ج» إلى ضابط ثانوي يصاغ كما يلي :

37 — مِ ـهْ مَ

ب ــ القصر : يقرأ به قالون قولا واحدا وهشام بخلف عنه أي أنه يقرأ بالقصر مثل قالون وبالاشباع مع الاخرين . وإذن فإن هذين القارئين يحولان هاء الكناية إلى ما تحت الضابط الاتي :

38 — مِ ـهِ مَ

ج ــ الإشباع : ويقرأ به الباقون محترمين أصلهم في «يَتَّقِهِ» قراءة أخرى انفرد بها حفص إنه ينطقها ساكنة القاف . بهذا ينقلها من حالتها الاصلية أولى 25 من الصورة VII في الشكل «ب» إلى حالة أصلية ثانية هي الحالة 31 من الصورة VIII في الشكل «ج» .

8.9 ــ يَرْضَهُ :

وردت هذه اللفظة في قوله تعالى : إن تكفروا فإن الله غنيٌّ عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يَرْضَهُ لكم ولا تَزِرُ وازِرةٌ وِزْرَ أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون إنه عليم بذات الصدور»(63).

تقرأ «يَرْضَهُ» في المتواتر (64) على ثلاثة أوجه :

1 ــ بالسكون : وقد قرأ به السوسي قولا واحدا وهشام ودَوْري أبي عمرو (65).

أما هشام فيقرأ هذه اللفظة بوجه آخر (66) وهو القصر، وأما أبو عمر الدوري فيقرأ هذه اللفظة بالاشباع أيضا .

هؤلاء القراء الذين يقرأون «يَرْضَهُ» بسكون هاء الكناية يخرجونها من ضابطها الأصلي وهو الحالة 13 من الصورة III في الشكل «ج» ليضعوها في ضابط ثانوي هو :

38 — مَ ـهْ مَ

2 ــ بالقصر : قرأ هذه اللفظة بهذا الوجه كل من نافع وعاصم وحمزة وهشام الذي يقرأها أيضا بالسكون كما قلنا أعلاه.

إن هؤلاء القراء يحولون هذه اللفظة بقراءتهم هذه إلى ما تحت الضابط وهو :

39 — مَ ـهُ مَ

3 ــ بالاشباع : يقرأ بهذا الوجه الباقون من القراء وهم ابن كثير، ابن ذكوان، شعبة والكسائي. وطبعا هم في قراءتهم محترمين للضابط الأصلي.

9.9 ــ «يَرَهُ»:

الواردة مرتين في قوله تعالى : « فمن يَعْمَلَ مثقَالَ ذرَّةٍ خيرا يَرَهُ،وَمَنْ يعمل مثقال ذَرَّةٍ شراً يَرَهُ»[67].

تقرأ هذه اللفظة على وجهين.

ا ــ بالاشباع : على الأصل، يقرأ بها جميع القراء إلا هشام.

ب ــ بالسكون : يقرأ بها هشام راوي ابن عامر الشامي، فهو إذن يحولها من ضابطها الأصلي الذي هو ضابط «يَرْضَهُ» المذكور أعلاه الى ضابط ثانوي رقم 39 السابق الذكر.

10.9 ــ «أرْجِئْهُ» :

وردت هذه المفردة مرتين في القرآن الكريم، مرة في قوله تعالى : «قالوا أرْجِهْ وأخاه وأرْسِلْ في المدائن حاشِرين» [69]، ومرة في الآية : «قالوا أرْجِهِ»[70] وأخاهُ وابعث في المدائن حاشرين»[71].

لهذه اللفظة في القراءة القرآنية المتواترة سِت مراتب : ثلاثة بهمزة ساكنة هي :

ا ــ «أرجِئْهُ» : بالقصر، وهي قراءة موافقة للضابط العادي لأن هاء الكناية إن كانت بعد ساكن قُرِئَتْ، كما رأينا، غير موصولة إلا عند ابن كثير طبعا[72].

يقرأ بهذه المرتبة، أي بهمزة ساكنة وضم الهاء بغير إشباع، أبو عمرو وحده.

ب ــ «أرجِئْهُ د » بالاشباع : يقرأ بها ابن كثير كما سبق القول ويشاركه في هذه القراءة الإمام هشام [73].

ج ــ «أرْجِئْهِ» : مكسورة الهاء بالقصر، يقرأ بهذا الوجه ابن ذكوان راوي ابن عامر :

وثلاثة بدون همزة هي :

د ــ «أرْجِهْ» : باشباع الكسر. يقرأ بهذا الوجه ورش والكسائي رضي الله عنهما. وطبعا إنهما حين يقرآنِها بالاشباع يحترمان صورتها المكتوبة لا أصلها الذي منه تستمد بِنْيتها. مكان الهاء في الوزن المقروء هو بين متحركين، وإذن وجب قراءتها بالمد.

و ــ «أرْجِهْ» بالسكون : يقرأ بهذه المرتبة عاصم وحمزة وهما حين يقرآن بهذا الوجه يُخرجان من ضابطها الأصلي وهو الحالة 25 من الصورة VII في الشكل «ج» إلى ضابطها الثانوي ، ذلك الضابط الثانوي الذي رأينا صيغته في الفقرة 3.9 وهي :

م ه م [74]

10 ـــ تبرير مراتب قراءات اللفظة.

«أرْجِهِ»

ا ـــ رغم أنني لم أُنبّه في مطلع البحث أنني أقتصر ، في هذه الدراسة على القراءات السبع فقد فهم، ولا شك، القارئ الكريم ذلك وأدركه من الأمثلة التي أعطيتها ومن الأعلام الذين أذكرهم.

ب ـــ لا بد ليكون الوجه المقروء به مقبولا من أن يستوفي ثلاثة ضوابط. ولا بد ان تكون هذه الضوابط مجتمعة بحيث إذا سقط ضابط منها واحد عُدَّتِ القراءة شاذة وأصبح التعبُّد بها غير جائز وقراءتها في المسجد حراما.

لا بد أن تكون القراءة مطابقة لرسم الامام موافقة للغة العربية منقولة إلينا بسند صحيح.

الذي يعتبر ثابتا في الرسم، ومن هنا يجب أن تحترم، هي الصوامت. أما الحركات فهي أشياء متحولة بحيث يمكن أن تتغير من نطق إلى آخر دون أن تمس بجوهر الرسم. ومعلوم أن الهمزة تُعامَل معاملة الحركات وتُعَدُّ، من هنا، من الأمور المتحولة. لذا من قرأ «أرْجه» بالهمزة جعلها من : «ارجأتُهُ» بمعنى أخَّرْتُهُ» ومن قرأ بدون همز جعلها من «أرْجَيْتُهُ».

1.10 ـــ القراءة بهمزة وهاء مضمومة من غير إشباع :

قرأوها بالضمة من غير إشباع اكتفاءً عن الواو لأن الضم في نظر أبي عمرو بن العلاء وقبائل كثيرة من العرب تنوب عن الواو. غير أن بعض العرب يعتمدون على حجة أخرى لحذف هذه الواو، ذلك أنهم يرون أن الهاء حرف خفي، ومن هنا، اعتبروه حاجزا غيرَ حصين، فإذا كان الأمر كذلك، وهو كذلك، عندهم، لا محالة، فكأن الساكن الذي قبلها ملاق للساكن الذي بعدها وإذا التقى ساكنان في اللغة العربية فلا بد من حذف أحدهما ، فحذفوا الواو.

2.10 ـــ القراءة بهمزة وهاء مضمومة مشبعة :

معلوم أن أصل هاء الكناية أن تكون مضمومة بعدها واو، قال سيبويه : «فأمّا الثّبات فقولُك : ضرَبهو زيدٌ، وعليها حالٌ ولدَيهُو رَجُلٌ، جاءت الهاء مع ما بعدها ها هنا في المذكر كما جاءت وبعدها الألف في المؤنث، وذلك قولك : ضرَبها زَيْدٌ وعليها مَالٌ» (75) وأشار سيبويه إلى أصل حركة هذه الهاء في مكان آخر من كتابه فقال :

«اعلم أن أصلها[76] الضم وبعدها الواو، لأنها في الكلام كله هكذا إلا أن تدركه هذه العلة التي أذكرها لك.

وليس يمنعهم ما أذكره لك أيضا من أن يخرجوها على الأصل»[77].

3.10 ــ القراءة بهمزة وهاء مكسورة دون اشباع:

الأصل في هذه الهاء، كما سبق القول، الضمة، ولكنهم قلبوا الواو ياء لانكسار ما قبلها، أي انكسار الجيم، لأنهم لم يعتدوا بالساكن الذي بينهما وهي الهمزة، وإنما اختاروا الكسرة على الضمة التي هي الأصل لاستثقال الضمة بعد الكسر.

ومن المفيد أن أثير الانتباه الى ما يقوله عن هذه المرتبة الامام الجليل أبو زرعة عبد الله ابن محمد زنجلة [78] في كتابه حجة القراءات. قال : [79]

«قال أهل النحو هذا غلط لأن الكسرة لا تجوز في الهاء إذا سكن ما قبلها نحو «مِنْهُمْ» بكسر الهاء، قال : وإنما يجوز كسر الهاء إذا كان ما قبلها ياء أو كسرة فتكسر الهاء لأجلها، وله وجه قد ذكره بعض النحويين قال: إن الهمزة لما سكنت للجزم وبعدها هاء ساكنة على لغة من يُسَكِّنُ، فكسر الهاء لالتقاء الساكنين، وليس هذا كقولهم : «مِنْهم» لأن الهاء لا تكون إلا متحرِّكة».

4.10 ــ القراءة من غير همز وهاء مكسورة من غير اشباع.

حجة من قرأ بالقصر أنه يكتفي بالكسر الذي ينوب عن الياء، ويمكن تبرير ذلك بأنهم أجروا الكلمة على أصلها قبل حذف الياء الأولى أي حين كانت «أرجيهي» فكأنهم حذفوا الياء الثانية لسكونها وسكون الياء الأولى لأنهم يعتبرون الهاء حرفا غير حصين، ثم حذفوا الياء الأولى للبناء والجزم محولين هذه اللفظة إلى ما تحت الضابط 37 السابق الذكر.

5.10 ــ القراءة من غير همز وبسكون الهاء

ضابط هذه الهاء هنا، هو كما رأينا، وكما يستنبط من صورتها الخارجية الكسر بالإشباع ، لأنها عند الجميع من الحالة 25 في الصورة VII من الشكل «ج». لكنها تحول عند من يسكن الهاء إلى الضابط الثاني رقم 36.

6.10 ــ القراءة من غير همز وهاء مكسورة مشبعة.

هذا هو الضابط الأصلي لهذه الهاء بالنظر إلى صورتها التي هي عليها. والأصل

في هذه الهاء كما سبق أن قلنا هو الضم لكنهم قلبوا الواو ياء لانكسار الجيم الذي قبل الهاء.

يمكن تلخيص مراتب قراءات هذه الالفاظ في جدول كما يأتي :

اللفظ	الضابط الأصلي	الضابط الثاني	ما تحت الضابط
يُؤَدِّهِ نُؤْتِهِ فَأَلْقِهِ	مِ هِ مِ	مِ هْ مِ	مِ هِ مِ
يَأْتِهِ	مِ هِ مُ	مِ هْ مُ	مِ هِ مُ
نُوَلِّهِ نُصْلِهِ يَتَّقِهِ	مِ هِ مَ	مِ هْ مَ	مِهِمَ
يَرْضَهُ يَرَهُ	مَ هُ مَ	مَ هْ مَ	مَ هُ مَ
أَرْجِئْهُ	س هُ مَ (الباقون)	س هِ مَ	
أَرْجِهِ	س ه مَ (ابن كثير) م ه مَ	مِ هْ مَ	مِ هِ مَ

11 ـــ مسألة هَذِهِ

أريد أن أختم بحث هاء الكناية باسم الإشارة «هذِهِ». ورغم أن الهاء الموجودة في هذه اللفظة ليست في الحقيقة بهاء الكناية لسبب بسيط وهي أنها لا تدخل في التعريف الذي أعطيناه لها في صدر هذا البحث ، فإنها، صوتيا على الأقل، تندرج تحت ضوابطه بحيث تكون.

1.11 ـــ موصولة وبمد

حين تأتي قبل همزة قطع مثل ما ورد في قوله تعالى :(80) «إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً

واحدةٌ وأنا ربُّكم فاعْبُدُونِ»[81] فتدمج في الحالة 24 من الصورة VII في الشكل «ب» التي هي : مِ ـهِ ـمُ.

2.11 ــ موصولة بغير مد

حين تكون قبل متحرك ليس بهمزة قطع مثل ما نراه في قوله تعالى[82] «فإذا جاءَتهُمُ الحَسَنَةُ قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكْثَرَهُمْ لا يعلَمونَ». هذه تندرج، ومثيلاتُها، في الحالة 25 من الصورة VII من الشكل «ب» وهي : مِ ـهِ ـمَ. أو مثل ما نجده في قوله

تعالى :[83] «أينما تكونوا يُدْرِككُّمُ الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وإن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يقولوا هذه من عند الله وإن تُصِبْهُمْ سيِّئَةٌ يقولوا هذه من عِنْدِك قُلْ كُلٌّ من عند الله فمال هؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا» وهي هنا مندرجة في الحالة 26 من الصورة VII في الشكل «ب». التي كنا صغناها كما يلي : مِ ـهِ ـمِ.

3.11 ــ غير موصولة

أي أنها تقرأ بالقصر. بما أننا اعتبرناها كهاء الكناية، صوتيا على الأقل، كما قلنا، وبما انها لا تكون إلا بعد متحرك، فإنها لا تقرأ بالقصر إلا في حالة واحدة وهي حين تكون قبل ساكن. نجد مثالا عنها في قوله تعالى :[85] «... ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين» وفي قوله تعالى : «وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فَكُلُوا منها حَيْثُ شِئْتُمْ رغداً وادخلوا الباب سُجَّداً وقولوا حِطَّةٌ يُغْفَرْ لكم خَطاياكُمْ وسنزيد المحسنين». أما هذه فتندرج، هي ومثيلاتها تحت الحالة السادسة من الصورة V في الشكل «ا» التي صغناها كما يلي : مِ ـهِ ـس .

12 الوقف على هاء الكناية :

سبق أن قلنا ان الهاء حرف خفي ، لذا فإن الحركة التي قبلها هي التي ، في الحقيقة ، تظهر في حالة الوقف على الهاء .

يمكن أن نلخص أحكام الوقف على هاء الكناية في جدول يسهل استيعابه . لكن لا بد ، قبل ذلك من إبداء ملاحظة موضحة . لن نهتم ، ونحن نبحث في حكم الوقف على هاء الكناية ، بالحرف الذي يقع بعدها كما أننا لا نهتم أيضا إلا بما هو وارد في القرآن الكريم. فلن يبقى تبعا لذا إلا خمسة أوجه يتكرر منها ما لا بد أن يتكرر

حتى تكون القاعدة المنظمة لحكم الوقف شاملة لكل ما يرد منها كما نرى في الجدول الذي سنورده بعد قليل.

ومن المفيد أن نشير إلى أنه يمكن أن نقسم هاء الكناية، في مسألة الوقف عليها إلى ثلاثة أقسام:

1.12 ــ مضمومة وما قبلها ضمة أو واو، ومكسورة وما قبلها كسرة أو ياء.

يقف القراء على هذه بالسكون لا غير ولا حاجة لا للروم ولا للإشمام في حالة الضم لأن ما قبلها يعد بسبب خفاء الهاء آخر الكلمة، فالحركة التي قبلها كأنها عليها. وسنرى في الجدول الحالات التي تدخل في هذا القسم.

2.12 ــ مكسورة وما قبلها مفتوح أو ساكن غير الياء والواو.

على هذه يقف القراء بالروم. وما كان القراء رضي الله عنهم ليستغنوا، في الروم بحركة ماقبلها عن روم حركتها. لذلك حسن الروم لمخالفة حركتها لحركة ما قبلها.

3.12 ــ مضمومة وما قبلها مفتوح أو ساكن غير الياء والواو.

يقف القراء على هذه بالروم أو بالاشمام أيضا كما يفعلون مع سائر الحروف، إذ لم يسعهم الإستغناء في الإشمام بحركة ما قبلها عن اشمام حركتها المخالفة لحركة ما قبلها.

وهذا هو الجدول الذي وعدت به آنفا :

صورها		حالاتها	قراءاتها	الملاحظات
مَ	هُ	1	بالسكون ولا حاجة	شريطة أن يكون السكون واوا .
س	هُ	7		
مِ	هِ	6	لا لروم ولا لاشمام	شريطة أن يكون السكون ياء
س	هِ	8		
مَ	هُ	2	بالروم	شريطة ألا يكون السكون واوا .
س	هُ	7		
س	هِ	8		شريطة ألا يكون السكون ياء .
مَ	هُ	2	بالروم والإشمام	شريطة ألا يكون السكون واوا.
س	هُ	7		

الهوامش

1) « أبه له وبه » كمنع وفدح أبها، وبخرك : فطن أو نسيه ثم تفطن له.

2) « يأمه » يأتي على معنيين، فإن كان من باب فرح، فمعناه : نسي واعترف، وإن كان من باب نصر فمعناه : عهد .

3) هو من باب ضرب أنهاً وأنوهاً : أنخ وحسد .

4) يُدَهْدِهُ الحجر : يُدَحْرِجُهُ .

5) هو يوسف بن عمرو بن يسار الأزرق أبو يعقوب. انظر ترجمته في غاية النهاية لابن الجزري ج 2 ص. 402.

6) انظر ترجمته في غاية النهاية لابن الجزري ج 1 الصفحتين 502 — 503.

7) توفي سنة 169 هـ(785 م) انظر ترجمته عند ابن الجزري ج 2 من ص 330 إلى 334.

8) كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها للقيسي الجزء الأول صفحة 44، طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق بتحقيق محي الدين رمضان.

9) في مواضيع كثيرة في القرآن الكريم : البقرة 247، المائدة 40، الانعام 73، الاعراف 158.

10) طه الاية 10.

11) في مواضيع كثيرة من القرآن الكريم من : البقرة 25 و 266 وآل عمران 15، 136 الخ.

12) مريم 23.

13) الاعراف 29.

14) الفرقان 45.

15) الفرقان 69.

16) مذكورة مرتين في القرآن الكريم في الاعراف 111 وفي الشعراء 36.

17) لم تأت مضمومة بعد كسر إلا عند عاصم في قوله تعالى : «وما أنسانيه ...» الكهف الاية 62.

18) لم تأت مضمومة بعد ياء ساكنة إلا عند عاصم في قوله تعالى : «عَلَيْهُ الله» الفتح الاية 10.

19) الانعام 73.

20) البقرة الاية 26.

21) البقرة الاية 206.

22) القصص الاية 29.

23) البقرة الاية 206.

24) البقرة الاية 60.

25) البقرة الاية 74.

26) الفتح الاية 10

27) الهامش رقم 6 السابق.

28) الاحزب، الاية 6

29) البقرة الاية 64.

30) القصص، الاية 39.

31) البقرة، الاية 47، في غير قراءة الامام السوسي الذي يضغم الهاءين

32) الفرقان الاية 45.

33) الكهف الاية 43.

34) القصص الاية 52.

35) النور الاية 35.

36) يقرأ حفص «يَتَّقْهِ» بسكون القاف وقصر الهاء أي أنه يحولها الى الحالة 31 من الصورة VIII في الشكل «ج».

37) النمل، الاية 18.

38 ــ البقرة 102 .

39) الاعراف، الاية 28.

40) غافر الاية 40.

41) يونس الاية 10.

42) البقرة الاية 75

43) البقرة الاية 185.

44) البقرة الاية 95.

45) البقرة الاية 87.

46) العنكبوت الاية 8.

47) الفرقان الاية 45.

48) آل عمران الاية 49.

49) الفرقان الاية 69.

50) سبقت الاشارة الى هذه في الفقرة 3.4 من هذا البحث.

51) حفص بن اليمان بن المغيرة أبو عمر بن أبي داوود ولد سنة 90 هـ أخذ القراءة عرضا وتلقينا عن عاصم وخالف الراوي الثاني لهذا الأخير وهو شعبة في 520 حرفا وخالف عاصماً في حرف واحد (الروم) (30 آ 54) «الله الذي خلقكم من ضعف ...» قرأها بالضم وقرأها عاصم بالفتح. لكنها مطبوعة الآن في سائر المصاحف بالفتح وهي رواية عنه ثانية صحيحة. توفي سنة 180 هـ على الصحيح.

52) عاصم بن بهدلة أبي النجود توفي سنة 127 هـ.

53) هشام بن عمار بن نصير ولد سنة 153 هـ وتوفي سنة 245 هـ.

54) الاعراف الاية 111 ، الشعراء 36.

55) الاية 75.

56) الاية 145.

57) الاية 20.

58) النمل، الاية 28.

59) طه الآية 75

60) الاختلاس أن يأتي القارىء بثلثي الحركة، هذا هو المعروف المطبق بالنسبة لهذا المصطلح لكن هنا في هذه الكناية لا يول فقط إلا على القصر أي النطق بها مكسورة أو مضمومة كَسْرًا واضحاً كاملين من غير إشباع.

61) النساء، الاية 115.

62) النور، الاية 52.

63) الزمر ، الاية 7 .

64) التواتر هو أن يروي القراءة جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب عن مثلهم وهكذا الى رسول الله ﷺ بدون انقطاع في السند.

65) أبو عمر الدروي حفص بن عمر بن عبد العزيز ولد سنة 150 هـ في الدور. يروي عن أبي عمرو بن العلاء كما يروي عن الكسائي. ولقد تعوّدنا (نحن القراء) التمييز بين الرواية عن أبي عمرو بن العلاء من طرف الدوري بقولنا: «دوري أبي عمرو» حتى لا يختلط ما يرويه عن أبي عمر بما يرويه عن الكسائي.

66 ــ الوجه من الخلاف الجائز، بمعنى أن القارىء مخير في الاتيان به أو بغيره من الأوجه، إذ لو أتى بوجه واحد منها أجزأهُ ولا يعتبر ذلك نقصا في روايته.

67) الزلزلة الايتان 7 و 8.

68) اثبتها أعلاه على الرواية التي يقرأ بها ورش عن نافع رضي الله عنهما.

69) الاعراف الاية 111.

70) اثبتها هذه المرة على الرواية التي يقرأ بها حفص عن عاصم رضي الله عنهما.

71) الشعراء الاية 36.

72) انظر الفقرة 34 ب من هذا البحث.

73) انظر آخر الفقرة السابقة.

74) وهي الصيغة التي تحمل في هذا البحث الرقم 36.

75) «الكتاب» لسيبويه الجزء الرابع صفحة 189 تحقيق عبد السلام محمد هارون.

76) يقصد هاء الكناية.

77) الكتاب ج 4 ص. 195 .

78) من أئمة القراءة الذين عاشوا في أواخر القرن الرابع الهجري وبداية القرن الخامس حيث أنهى تأليف كتابه الحجة سنة 403.

79) الحجة في القراءات ص. 291 من الطبعة الثانية 1979 تحقيق الاستاذ سعيد الأفغاني.

80) سورة الأنبياء الاية 92.

81) تكررت هذه الاية في سورة المؤمنون الاية 52، لكن بهذه الصيغة : «إن هذه أُمَّتُكم أُمةً واحِدَة وأنا ربكم فاتقون».

82) الاعراف الاية 13.

83) النساء الاية 78.

84) الاعراف الاية 19.

85) البقرة الاية 57.